التذكرة في الوعظ

للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
الجوزي القرشي الملقب بابن الجوزي
"٥٠٨-٥٧١هـ"

تحقيق

أحمد عبد الوهاب فتيح
عضو مجمع البحوث الإسلامية

التذكرة في الوعظ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحَمْد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده اللهُ فهو المهتدِ ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ يَـأَيُّهَا النَّـاسُ آتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَّاحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاءَ وَآتَّقُوا اللهَ الَّـذِي تَسَاءَلُـونَ بِهِ وَالأَرْحَـامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً ﴾.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيْداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُّطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً ﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الحديث كلام الله وأحسن الهدي هدى محمد، وشر الأمور مُحْدَثاتها وكل مُحْدَثَة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم: أما بعد:

فإنَّ قلوب العباد بين إصبَعيْن من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء يجعل

مَنْ يشاء مؤمناً طائعاً، ويجعل مَنْ يشاء كافراً أو عاصياً، وجعل لكل شيء أسباباً فجعل للتقوى أسبابها، وللكفر والطغيان أسبابه، وجعل من أسباب التقوى ورِقَّة القلوب، واستمالتها، وجلاء صدئها مجالس الوعظ ورياض الأنس بذكر الله، وذكر حديث رسوله ﷺ، وكلام سلف هذه الأمة الصالحين.

ولما كان من دأب بعض علماء هذه الأمة أن لا يكتفي بالأثر الوقتي للوعظ ساعة ساعة فسبل وعظه ومجالسه في كتب ليفيد منها من يأتي بعده من هذه الأمة، وهذا الكتاب الذي نقدمه أفرده مؤلفه ـ وهو ابن الجوزيّ رحمه الله، وسرده سرداً جميلاً يرتق فيه القلوب ويلينها بذكر الله وما نزل من الحق، ويدفعها إلىٰ فعل ما ينفعها في آخرتها، وترك ما يضرها ويجعلها تؤثر محبة الخالق علىٰ محبة المخلوقين، وتؤثر الخوف من الخالق علىٰ الخوف من المخلوقين، فشكرها لله، وخوفها من الله، وعبادتها لله ـ عز وجل ـ متمثلة قول الحق ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾.

وقد سمىٰ ابن الجوزيّ كتابه بالتذكرة في الوعظ وهو حقاً اسم طابق معنىٰ مسماه، فهو يذكر قارئه بالفضائل وثوابها وما أُعِدَّ لفاعليها من رياضٍ وجنات خالدين فيها ونِعْمَ أجر العالمين، والكتاب حافلٌ بالعديد من المأثورات التي تركها لنا السلف الصالح من كلامهم الطيب الجميل شعره ونثره وبخاصة النثر الجميل، وكذلك طائفة من أقوال رسول الله ﷺ ـ الطيبة العطرة، وعدد من الآيات البينات يستدل بها تارة ويشرح معناها تارة أخرىٰ، والكتاب في الجملة عبارة عن مجالس وَعْظٍ سهلة الأسلوب، شيقة المعنىٰ. تعبر بوضوح عن قدرة ابن الجوزي الأدبية، وبراعته في ذلك المضمار الذي أتقنه وأتقن غيره من الفنون والعلوم نقدمها اليوم نسأل الله تعالى أن ينفع بها المسلمين.

ترجمة المؤلف

١ ـ نسبه:

هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ الجوزيّ، القرشيّ، البكريّ، الفقيه، الحنبليّ، الواعظ، الملقب بابن الجوزي، وكنيته أبو الفَرَج.

يمتد نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والجوزيّ نسبه إلى (فرضة الجوز)، وقيل: نسبة إلىٰ محلة الجوز بالبصرة.

٢ ـ مولده ونشأته:

ولد ابن الجوزي سنة ٥١٠، أو ٥٠٨ أو قبلها، وقد نشأ يتيماً فقد مات أبوه وله ثلاث سنين، وربته عمته وظلت ترعاه صغيراً حتىٰ إذا ترعرع حملته إلىٰ مسجد أبي الفضل ابن ناصر ـ وهو خاله ـ فاعتنىٰ به، وأسمعه الحديث، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، وقرأه علىٰ جماعة من القرَّاء بالروايات، وهكذا نشأ ابن الجوزيّ منذ نعومة أظفاره علىٰ حب العلم والشغف به محبًّا لطلبه، راغباً في الاستزادة منه حتىٰ صارت له يد طولىٰ في جميع الفنون... يقول هو عن نفسه:

« .. فركز في طبعي حُبّ العلم وما زال يوقعني علىٰ المهم فالمهم، ويحملني إلىٰ مَنْ يحملني علىٰ الأصوب حتىٰ قَوَّمَ أمري».

٣ ـ شيوخه:

كان أول من تعلم على يديه ابن الجوزي خاله أبـا الفضل ابن نـاصر حيث اعتنىٰ به وأسمعه الحديث، ثم تنقل ابن الجـوزي بين الشيوخ طـالباً للعلم حتىٰ صار له سبعة وثمانون شيخاً منهم:

أ ـ عليّ بن عبد الواحد الدِّيْنَوَرِيّ.
ب ـ ابن الحصين
جـ ـ أبو عبد الله البارع
د ـ أبو الوقت السجزيّ
هـ ـ أبو الوفاء ابن عقيل... وغيرهم كثير.

٤ ـ حياته العلمية وثناء الناس عليه:

اتجه ابن الجوزي إلى الوعظ فاشتغل بالوعظ منذ صغره وفاق فيه الأقران، ونشأت له فيـه ملكة عجيبـة، وبديهـة حاضـرة، وتاب علىٰ يـديه آلاف، وحضـر مجالسه الخلفاء والوزراء فهو واعظ مجد، وعالم بفنون الوعظ ليس له فيها مثيل.

ولم يقتصر ابن الجوزيّ علىٰ الوعظ وحده وإنما نبغ في كل منه وصـار من سادة أهله، ومؤلفاته في كل الفنون تدل علىٰ ذلك فهو محدث، فقيه، أصـوليّ، لغويّ أديب تتمثل فيه شمولية الثقافة الاسلامية.

قال عنه مـوفق الدين المقـدسي: «كان ابن الجـوزي إمام أهـل عصره في الـوعظ، وصنف في فنون العلم تصـانيف حسنـة، وكـان صـاحب فنـون، وكـان يـدرس الفقه ويصنف فيـه، وكان حـافظاً للحـديث وصنف فيه إلا أننـا لم نـرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها».

وقال ابن رجب: «نعم عليه جماعة من مشـايخ أصحـابنا وأئمتهم ميله إلى التـأويل في بعض كـلامه واشتـد نكيرهم عليـه في ذلك، ولا ريب أنّ كـلامه في ذلك مضطرب مختلفٌ فيه».

٥ ـ وفاته :

تـوفي ـ رحمـه الله ـ ليلة الجمعـة بين العشـاءين من شهــر رمضـان سنــة (٥٧١).

٦ ـ مصادر ترجمته :

أ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزيّ ٩/٢٢ .

ب ـ المنهج الأحمد للعليميّ ٣١١ .

جـ ـ سير أعلام النبلاء للذهبيّ ٢١/٣٦٠

د ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/٢٤٤ .

هـ ـ أسماء الرجال للطيبي ١٠٠

و ـ التذكرة لطاهر الجزائريّ : ١/٢

ز ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٣١ .

حـ ـ النجوم الزاهرة لتفري بردي ٦/١٧٤

ط ـ الجامع المختصر لابن الساعي ٩/٦٥

ي ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة ٢١

ك ـ طبقات المفسرين للسيوطي ١٧

ل ـ البداية والنهاية ١٣/٢٨

م ـ مرآة الجنان لليافعيّ ٣/٤٨٩

وغيرها من المصادر.

وصف المخطوط

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب علىٰ النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢١ ٣٧ ـ تصوف وأخلاق) عدد أوراقها ١٦٢ ـ ورقة، مسطرتها ١٤ سطراً، بها خروم قليلة، وهي نسخة نادرة وحيدة، عليها تملكات .

منهج التحقيق

١ ـ ضبط النص: وقعت بعض الأخطاء في الأصل الخطي فقومناها بالرجوع إلى مظانّها في كتب المصنف.

٢ ـ التعليق على الكتاب: وقد اشتمل علىٰ أمور عدة:

أ ـ تخريج الآيات القرآنية الشريفة.

ب ـ تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، وقد اقتصرت فيما أخرجه الشيخان ـ أو أحدهما ـ بالعزو إليه عما سواي الشيخين.

وقد حرصنا علىٰ نقل ما قاله العلماء من تصحيح أو تضعيف لتلك الأحاديث.

جـ ـ شرح غريب اللغة.

د ـ وزن الشعر ونسبته لقائليه، وقد أكثر ابن الجوزي من الشعر حتىٰ ليرىٰ

القارىء أنه لا يكاد يتكلم في جزئية ما إلا ويأتي بما يدعم المعْنىٰ أو يتضمنه من الشعر.

ـ ترجمة موضوعات الكتاب، وقد تركها المؤلف بغير ترجمة.

٣ ـ فهرست أحاديث الكتاب وآثاره مرتبة هجائياً حسب أطراف الحديث.

٤ ـ فهرست الموضوعات.

ونسأل الله العظيم أنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يُحْيِيَ به قلوباً قد أماتها حب الدنيا وكراهية الموت.

اللهم نجنا من شرور أنفسنا، واختم لنا بالصالحات إنك سميع، قريب، مجيب الدعوات يا رب العالمين.

صورة لوحة العنوان للأصل الخطيّ

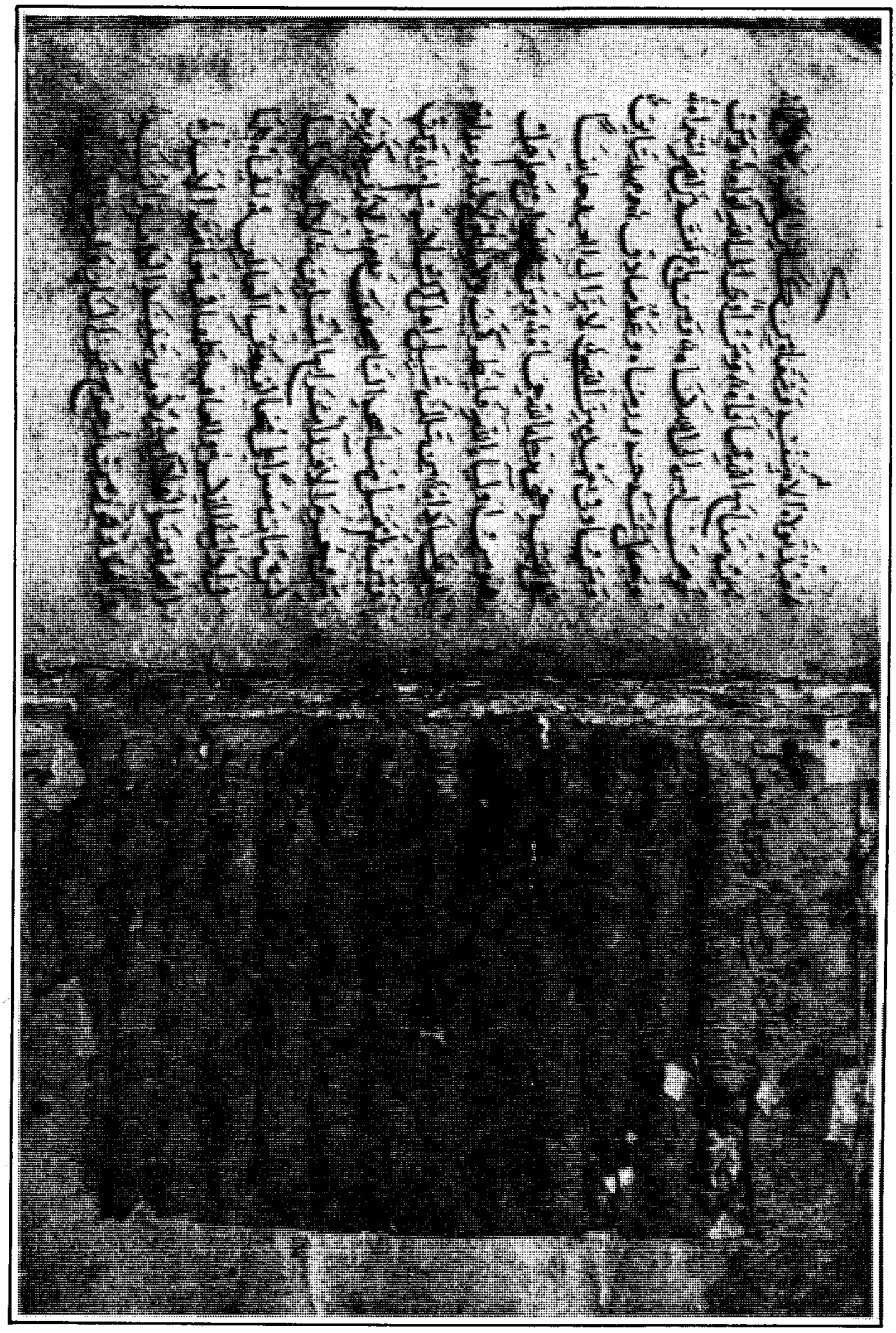

صورة الورقة الأولىٰ من الأصل الخطيّ

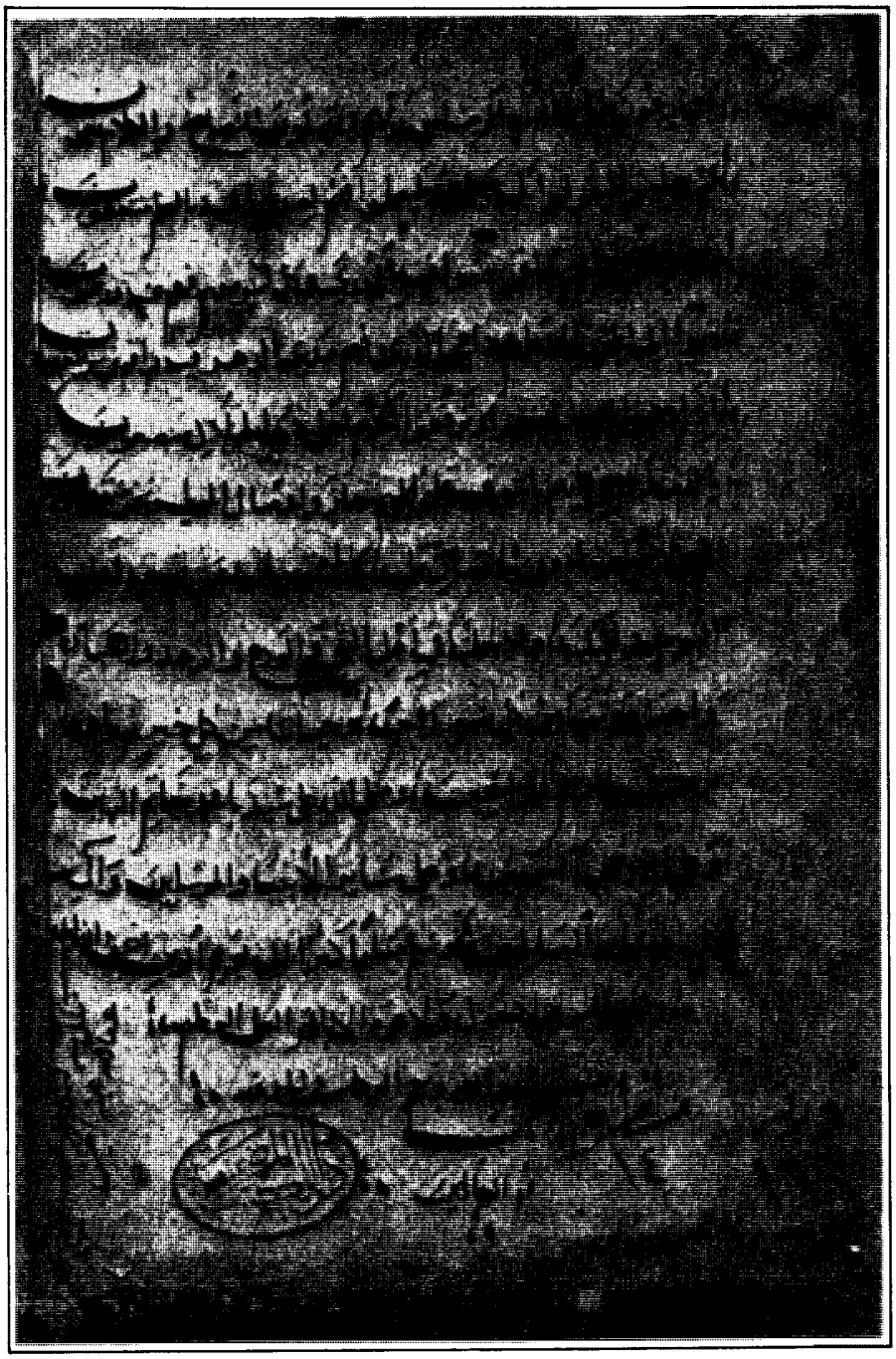

صورة الورقة الأخيرة في الأصل الخطيّ

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سبحان الله ما تعاقبت الليالي والأيام، والحمد لله عـدد الشهور والأعـوام، ولا إله إلا الله الذي لا تتصور عظمته الأوهام.

والله أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التي لا تـرام، مدهِّـر الدهـر، مدبِّـر الأمر، ومقدِّر اليوم، والليلة، والسنة، والنهار، والعالي فـوق كل شيء بـالسلطان والقهر والجلال.

كل معبود دون الله باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل.

كيف يكـون غيرَ الله معبـودٌ سواه، وكـل من تحت عرشـه يرجـوه ويخشاه؟ أليست الشمس والقمـر والنجوم مسخـرات؟ أليست السموات والأرض ومـا فيهـا بحكمته مدبرات؟ أليست الهلال بتسخيره على أقطارهـا دائرات؟ أليست العقـول في فلوات تيه[1] معرفته حائرات؟

سبحانه سبحانه، ما أعظم شأنه.

سبحانه سبحانه، ما أدوم سلطانه.

---

(١) « الفلاة » الأرض لا ماء فيها. « التيه » المفازة وهي التي لا علامة فيها يهتدى بها. وتـاه: ضل عن الطريق.

عـبـدٌ تَـولَّاه إلَاهُ بـنَـفْـسـه وَسَقَـاهُ من كَـأْس المحبَّـةَ مـا فيهـا

من صفـا مع الله صـافاه، ومن أوى إلى الله آواه، ومن فـوض أمره إلى الله كفاه، ومن باع نفسه من الله اشتراه، وجعل ثمنه جنة ورضاه .

وعظٌ(*) صادق، وعهد سابق، ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ﴾[1].

لا يزال العبد خـائفاً على نفسـه حتى يدخله الله حمـاه، ومن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله؟ فلينظر كيف ولاه لمن أولاه، وعداوه لمن عاداه؟

من سلك سبيـل أهـل السـلامـة سلم، ومن لم يقبـل منـاصحـة الناصحين ندم.

لا رزية كرزية[2] من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين.

لا بلية كبلية من مات مصرًّا على مخالفة رب العالمين.

الحياة كلها في إدامة الذكـر، والعافيـة كلها في مـوافقة الأمـر، والنجاة من الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فـوز من زحزح عن النـار وأدخل الجنة.

ليس الميت من خرجت روحه من جنبيه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه.

الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والـوحشة وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهي نعمة.

الغفلة عن الله ما قدحنا شيء غيره، ولـولا الجهل بعـظمة الله مـا زغنا عن أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإسـاءة فيما بيننـا

(*) ولعل الصحيح: وعدٌ ـ وهذا ما يقتضيه السياق.

(١) سورة التوبة. الآية: ١١١.

(٢) « الرزية »: المصيبة.

وبين الله ما استوحشنا من كتابه.

كونوا كما أمركم الله، يكن لكم كما وعدكم.

أجيبوا الله إذا دعاكم، يجبكم إذا دعوتموه.

اعطوا الله ما طلبه من طاعته، يعطكم من رحمته ما طلبتموه.

مثل العبادة بغير إخلاص، مثل الحَدَقَةِ بلا ناظر.

تسمية الله في ابتداء كل أمر، نجاح ذلك الأمر[1].

استهداء الله في كل مسلك أمان للسائر من الضلال.

أيها الناس: من أكرم على الله منكم لو أكرمتم أنفسكم بالتقوى، من أولى بالله منكم لو أحكمتم فيما بينكم وبينه عقد الولاء، من أقرب إلى الله منكم لو آثرتم القرب على النوى.

لو عرف الإنسان قدر نفسه مادسَّاها[2] بمعصية الله، ولا دنَّس عرضه بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه.

ولا يؤنس في وحشة القبر إلا العمل الصالح، ولا يطفىء لهب النار إلا نور الإيمان، ولا يثبت القدم على الصراط إلا الاستقامة في السلوك.

الرب خالق، والعبد مخلوق، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذي أنزله عليه فاعملوا بالكتاب، وتابعوا السنة، تتخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) «دسَّاها» حقر نفسه بالكفر والمعاصي وأوردها موارد الهلكة.

المجلس الأول

نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذي أيسر نعمه ما يستوجب شكر الشاكرين، وقطرة من بحار كرمه تعم جميع العالمين، تُملأ القلوبُ فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته، وتحير القلوبُ دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته.

قتل ملك[1] الأرض كلها ببعوضة دخلت أنفه، وأغرق الذي قال: ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[2] بقطرة أوردته حتفه، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء.

يجوع الملك العظيم من ملوك الأرض ساعة، ثم يَلقَى كسرة فتملأ قلبه سروراً.

ويبتلي الأسد الضاري بذباب يسقط على عينه، فيظل في قبضته أسيراً.

ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم، فيخر منجدلاً[3] عقيراً.

---

(١) يقال إنه النمرود الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه وكان ملك الأرض.

(٢) سورة النازعات الآية: ٢٤

(٣) « منجدلاً »: منكسراً.